الهيئة الاستشارية

- أ.د. وفاء عبد اللطيف عبد العالي – جامعة الموصل/ العراق (اللغة الإنكليزية)
- أ.د. جمعة حسين محمد البياتي – جامعة كركوك / العراق (اللغة العربية)
- أ.د. قيس حاتم هاني الجنابي – جامعة بابل/ العراق (تاريخ وحضارة)
- أ.د.حميد غافل الهاشمي – الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية/ لندن (علم الاجتماع)
- أ.د. رحاب فائز أحمد سيد – جامعة بني سويف / مصر (المعلومات والمكتبات)
- أ. خالد سالم إسماعيل – جامعة الموصل/ العراق (لغات عراقية قديمة)
- أ.م.د. علاء الدين احمد الغرايبة – جامعة الزيتونة/ الأردن (اللسانيات)
- أ.م.د. مصطفى علي دويدار – جامعة طيبة/ السعودية (التاريخ الإسلامي)
- أ.م.د. رقية بنت عبد الله بو سنان – جامعة الأمير عبدالقادر/ الجزائر (علوم الإعلام)

الأفكار الواردة في المجلة جميعاً تعبر عن آراء كاتبيها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة

توجه المراسلات باسم رئيس هيئة التحرير

كلية الآداب / جامعة الموصل – جمهورية العراق

E-mail: adabarafidayn@gmail.com

الرمز الدولي : ISSN 0378- 2887

آداب الرافدين

مجلة محكّمة تعنى بنشر البحوث العلمية الموثّقة في الآداب والعلوم الإنسانية باللغة العربية واللغات الأجنبيَّة

العدد: الثامن والسبعون (تموز/ آب/ أيلول لسنة ٢٠١٩) السنة: التاسعة والأربعون

رئيس التحـــرير

أ.د. شفيق إبراهيم صالح الجبوري

سكرتير التحرير

أ.م.د.بشار أكرم جميل

هيئة التحرير

أ.د.محمود صالح إسماعيل	أ.د.عبد الرحمن أحمد عبدالرحمن
أ.د.مؤيد عباس عبد الحسن	أ.د.علي أحمد خضر المعـــماري
أ.م.د.سلطان جبر سلطان	أ.م.د. أحمد إبراهيم خضر اللهيبي
أ.م.د. زياد كمال مصطفى	أ.م. قتيبة شهاب احمد

المتابعة والتقويم اللغوي

م.د.شيبان أديب رمضان الشيباني	– مدير التحرير
أ.م.أسامة حميد إبراهيم	– مقوّم لغوي/ اللغة الإنكليزية
م.د. خالد حازم عيدان	– مقوّم لغوي/ اللغة العربية
م. مترجم.إيمان جرجيس أَميـــــن	– إدارة المتابعـــــة
م. مترجم.نجلاء أَحمد حســـين	– إدارة المتابعـــــة

قواعد النشر في المجلة

- يقدم البحث مطبوعاً بدقة، ويكتب عنوانه واسم كاتبه مقروناً بلقبه العلمي للانتفاع باللقب في الترتيب الداخلي لعدد النشر.
- تكون الطباعة القياسية بحسب المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف ١٦/ المتن: بحرف ١٤/ الهوامش: بحرف ١٢)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطراً تحت سطر ترويس الصفحة بالعنوان واسم الكاتب واسم المجلة، ورقم العدد وسنة النشر، وحين يزيد عدد الصفحات في الطبعة الأخيرة داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأشياء المشار إليها، تتقاضي هيئة التحرير مبلغ (٢٠٠٠) دينار عن كل صفحة زائدة فوق العددين المذكورين، فضلاً عن الرسوم المدفوعة عند تسليم البحث للنشر والحصول على ورقة القبول؛ لتغطية نفقات الخبرات العلمية والتحكيم والطباعة والإصدار .
- ترتب الهوامش أرقاماً لكل صفحة، ويعرّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة، ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول .
- يقدم الباحث تعهداً عند تقديم البحث يتضمن الإقرار بأنَّ البحث ليس مأخوذاً (كلاً أو بعضاً) بطريقة غير أصولية وغير موثقة من الرسائل والأطاريح الجامعية والدوريات، أو من المنشور المشاع على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت).
- يحال البحث إلى خبيرين يرشحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويحال – إن اختلف الخبيران – إلى (محكم) للفحص الأخير وترجيح جهة القبول أو الرد .
- لا ترد البحوث إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر .
- يتعين على الباحث إعادة البحث مصححاً على هدي آراء الخبراء في مدة أقصاها (شهر واحد)، ويسقط حقه بأسبقية النشر بعد ذلك نتيجة للتأخير، ويكون تقديم البحث بصورته الأخيرة في نسخة ورقية وقرص مكتنز (CD) مصححاً تصحيحاً لغوياً وطباعياً متقناً، وتقع على الباحث مسؤولية ما يكون في بحثه من الأخطاء خلاف ذلك، وستخضع هيئة التحرير نسخ البحوث في كل عدد لقراءة لغوية شاملة أخرى، يقوم بها خبراء لغويون مختصون زيادة في الحيطة والحذر من الأغاليط والتصحيفات والتحريفات، مع تدقيق الملخصين المقدمين من جهة الباحث باللغة العربية أو بإحدى اللغات الأجنبية، وترجمة ما يلزم الترجمة من ذلك عند الضرورة .

((هيئة التحرير))

المحتويـــــــــات

العنـوان	الصفحة
ابن الحاج السلمي المرداسي (ت١٣١٦هـ) ومنهجه في كتابه : العقد الجوهري مع تحقيق البسملة منه أ.د.نوفل علي مجيد الراوي	١ - ٤٠
أعلام ابن خميس المالقي (ت بعد ٦٣٩ هـ) في كتابه مطلع الأنوار ونزهة البصائر والأبصار أقحاح ووافدون أ.د.يونس طرگي سلوم البجّاري	٤١ - ٧٠
المفارقة البيانية في شعر بلند الحيدري أ.م.د.قبية توفيق سلطان اليوزبكي و م.د.نوزاد حمد عمر	٧١ - ٩٨
الزجل ظاهرة ترفية – قراءة في نماذج أندلسية- أ.م.د. صالح ويس محمد و م.م.هبة عيسى حسين	٩٩ - ١٢٠
التعريف تقانةً شعريةً قراءةٌ في ديوان (يتوكّأ على عماه) لـ (عبود الجابريّ) أ.م.د. جاسم محمد جاسم	١٢١ - ١٣٦
الازدواج الوظيفي في إعراب المنصوبات وأثره في دلالة الحديث النبوي الشريف أ.م.د.أمير رفيق عولا المصيفي	١٣٧ - ١٦٤
ظاهرة التداخل الأجناسي في المدائح النبوية - نهج البردة لأحمد شوقي إنموذجًا م.د. حسين عبد اللطيف عبد الله	١٦٥ - ١٩٤
التواصل الحجاجي في الشعر العربي قبل الإسلام –العاذلة أنموذجًا- م.د.ألحان عبد الله محمد	١٩٥- ٢١٨
ازمة الديموقراطية واثرها في الصراع على السلطة في مصر ١٩٥٤-١٩٧١ أ.م.د. يوسف محمد عيدان	٢١٩ - ٢٥٦
نظيرة جنبلاط ودورها السياسي في لبنان ١٨٩٠-١٩٥١ أ.م.د. محمود صالح سعيد	٢٥٧ - ٢٨٨
اليغموري أبو المحاسن يوسف بن احمد المتوفى (٦٧٣هـ/١٢٧٤م) دراسة في سيرته وعلمه أ.م.د. هناء سالم ضائع	٢٨٩- ٣١٠
الاستراتيجية العسكرية الأمريكية في عهد الرئيس بيل كلينتون (١٩٩٣- ٢٠٠١) أ.م. واثق محمد براك السعدون	٣١١ - ٣٤٦
موقف القصر الملكي المصري من دستوري ١٩٢٣، ١٩٣٠ دراسة تاريخية م.د. محمد يونس اسماعيل ابراهيم	٣٤٧- ٣٩٠
النظم الادارية للدولتين المماليك البحرية والمماليك البرجية(٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠- ١٥١٧م) م.د. محمد عبد الكريم احمد و م.د مصطفى هاشم عبد العزيز	٣٩١- ٤١٢
نصير الدين الطوسي حياته وموطنه وانجازاته العلمية (٥٩٧- ٦٧٢هـ /١٢٠١- ١٢٧٤م) م.د. سلمان محمد خضر	٤١٣- ٤٣٤

كوامي نكروما حياته ودوره السياسي في غانا (١٩٠٩ – ١٩٧٢) م.م .رغيد هيثم منيب	٤٣٥- ٤٦٨
قروض الـ qīptum في ضوء وثيقة قضائية من العصر البابلي القديم BE 6/1 103 أ. د. محمد عبدالغني البكري	٤٦٩ - ٤٩٢
المنهج القرآني في تغيير الأفكار والمفاهيم ردود ابن عباسﷺ على فكر الخوارج أنموذجاً م. ناصر يوسف عبدالله	٤٩٣- ٥١٤
الاختراق الثقافي في مضمون القنوات الفضائية دراسة اجتماعية تحليلية أ.م.د. أحمد عبد العزيز عبد العزيز	٥١٥- ٥٣٦
زيادة رواتب موظفي الدولة وانعكاساتها الاجتماعية على الاسرة دراسة ميدانية في مدينة الموصل أ.م.حاتم يونس محمود و م. أميرة وحيد خطاب	٥٣٧- ٥٧٢
المضامين الاجتماعية في شعر الامام الشافعي دراسة اجتماعية – تحليلية م.ريم أيوب محمد	٥٧٣- ٦٠٠
الإدارة المدرسية (نشأتها وتطورها) دراسة وصفية تحليلية م.م. شاكر عنتر وهب و م.م. قتيبة أحمد عبد الله	٦٠١- ٦٣٠
المفهوم الاجتماعي للجسد لدى الرهبان "دراسة انثروبولوجية" م.م. جليلة مارزينا افرام	٦٣١- ٦٥٢
سياسة بناء وتنمية المجموعات في المكتبات الجامعية*: "المكتبة المركزية لجامعة الموصل نموذجاً" أ.د.عمار عبد اللطيف زين العابدينو غفران عبد الكريم فرج الطائي	٦٥٣- ٦٩٢
الانظمة الآلية المتكاملة للمكتبات ومراكز المعلومات نظام السيمفوني (symphony) نموذجاً أ.م. سعد أحمد إسماعيل م.م.هبة سعدالله يونس المولى	٦٩٣- ٧٢٤
المعاجم الالكترونية المتوفرة على الانترنيت مع نماذج لمعاجم عربية وأجنبية أ.م.وسن سامي سعدالله الحديدي	٧٢٥- ٧٦٠
التعليم المتمايز لتدريس مادة الرياضيات وأثره في اكساب طلاب الصف السادس العلمي الأحيائي المفاهيم الرياضية م.د.عاصم احمد الشمام و م.م. رياض جمعة الكيلاني	٧٦١- ٧٨٨

النظم الادارية للدولتين المماليك البحرية والمماليك البرجية

(٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠- ١٥١٧م)

م.د. محمد عبد الكريم احمد * و م.د مصطفى هاشم عبد العزيز *

تأريخ التقديم: ٢٠١٨/١٠/٢٢ تأريخ القبول: ٢٠١٨/١١/٢٧

المقدمة :

تاريخ مصر العريق حافل بعديد من الدول التي تعاقبت في حكمها وبين هذه الدول التي زخر بها التاريخ المصري في العصور القديمة والوسطى والحديثة، تحتل دولة المماليك بشقيها البحرية والبرجية (الجركسية) مكانة خاصة بارزة تجعل من عصر سلاطين المماليك عصراً جديراً بمزيد من الدراسة والبحث والتمحيص، هذا فضلاً عن أن الأحداث الخارجية والداخلية التي ارتبطت بذلك العصر لا تعكس أهميتها على تاريخ مصر والشام فحسب بل على تاريخ الدولة الإسلامية عامة في العصور الوسطى.

ولما كان الجانب الإداري جزءاً مهماً من الجوانب الخمسة التي تبنى عليها حضارة أية أمة أو دولة، لا بل أن أساس قيام أية دولة هي النظم الإدارية ، فعليه لا بد أن تلقى اهتماماً وعناية خاصة من لدن السلاطين والملوك.

ويميز عصر سلاطين المماليك بجناحيه البحري والبرجي بأنه ظاهرة حضارية واحدة منسقة، الثانية استمرار وامتداد للأولى تمتد بداية تكوينها وتشكيلها إلى العصر الأيوبي وتتمثل نهايتها في خط التدهور الذي بدأ أواخر دولة المماليك البحرية واستمر في زمن المماليك البرجية ثم زاد معدل منحاه حتى سقطت على يد الدولة العثمانية. لقد تناول الموضوع الذي نحن بصدد دراسته من خلال تمهيد ومبحثين وخاتمة: تناول التمهيد الأحوال السياسية في الدولتين فتطرق إلى ظهور المماليك في العالم الإسلامي وقيام دولة المماليك البحرية وبيان كيفية قيام دولة المماليك البحرية وذكر أسماء وأجناس سلاطينهم

* قسم التاريخ/ كلية الآداب /جامعة الموصل .
* قسم التاريخ/ كلية الآداب /جامعة الموصل.

وعوامل انتقال الحكم للمماليك البرجية (الجراكسة) وكذلك التعرف بالدولة البرجية وذكر أسماء وأجناس سلاطينها وبيان عوامل ضعفها ومن ثم سقوطها على أيدي العثمانيين في معركة الريدانية في سنة (٩٢٣هـ/١٥١٧م).

وتناول المبحث الأول : النظم والمناصب الإدارية في الدولتين المملوكية البحرية والبرجية، والتعريف بهذه النظم وبيان واجبات وصلاحيات الموظف الذي يتناول إحدى هذه المناصب الإدارية، ومن ثم التعرف على عناصر الوحدة والتنوع فيها .

أما المبحث الثاني : فقد تحدث عن دواوين دولة المماليك ، والوظائف الدينية الخاصة .

ثم جاءت الخاتمة لتبين أهم عناصر الوحدة والتنوع بين الدولتين المملوكية البحرية والبرجية، التي توصل إليها البحث من خلال ما توفر من مادة ومعلومات غنية عن البحث بين طيات المصادر والمراجع وبعيداً عن المبالغة أو بالأحرى فهي تعتبر خلاصة للبحث نفسه.

التمهيد :

الأحوال السياسية على عهد الدولتين المملوكية البحرية والبرجية (الجركسية)

المماليك ومفردها مملوك [١] وهو اسم مفعول مشتقاً من الفعل ملك [٢] وكان مصدر هؤلاء إما الشراء أو الأسر في ميدان القتال ثم الإهداء أو الهبات أو على شكل ضريبة أو جزية يدفعها حكام الولايات [٣] .

(١) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، تحقيق: عبد الله العلايلي، دار لسان العرب، (بيروت، د.ت)، مج ٣، ص٥٢٨.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، مج٣، ص٥٢٨؛ البستاني، عبد الله: معجم لغوي، المطبعة الأميركانية، ط١، (بيروت، ١٩٢٧)، ج٢، ص٢٣١٧؛ عاشور، سعيد عبد الفتاح: العصر المماليكي في مصر والشام، دار النهضة العربية، ط٢، (القاهرة، ١٩٧٦)، ص١.

(٣) عاشور، فايد حماد: العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى، دار المعارف بمصر، (مصر، ١٩٧٤)، ص١٢؛ المزوري، زاهدة محمد طه محيي الدين: الصراع على السلطة في العصر المملوكي الأول، رسالة ماجستير (غير منشورة)، مقدمة إلى عمادة كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠٠١، ص٩.

ويعود أول ظهور للمماليك في العالم الإسلامي إلى القرن الأول للهجرة/ السابع الميلادي بسبب الفتوحات الإسلامية التي امتدت إلى بلاد ما وراء النهر [١]، وكان من نتائج هذه الفتوحات هو الحصول على الأسرى الأتراك [٢] .

ويعد العباسيون أول من استعان بالمماليك في دولتهم إذ استعان الخليفة العباسي المأمون (١٩٨-٢١٨هـ/٨١٣-٨٣٣م) بهم ثم سار على سياسته الخليفة المعتصم بشكل أوسع [٣] إذ اهتم بجلب المماليك من إقليم بلاد ما وراء النهر، فألبسهم أنواع الديباج وخصص لهم الأرزاق من بيت مال المسلمين [٤] .

ومن أشهر المماليك (طولون) الذي كان في الأصل مملوكاً تركياً أرسل إلى الخليفة المأمون كهدية من حاكم بخارى وقد تمكن ابنه أحمد من تأسيس الإمارة الطولونية والاستقلال بولاية مصر سنة (٢٥٤-٢٩٢هـ/٨٦٨-٩٠٥م) وقد اعتمد أحمد بن طولون على المماليك واستخدمهم في جيشه بوصفهم قوة له، وكما اعتمد أيضاً على الديالمة والرقيق الأسود[٥] ، ولم يكن الأخشيديون أقل من أحمد بن طولون في استخدام المماليك واتخاذهم دعامة لجيوشهم فقد جعل محمد بن طغج الاخشيدي (٣٢٣-٣٣٣هـ/٩٣٤-٩٤٤م) جيشه من الأتراك والديالمة [٦] وكذلك استعملهم كحرس خاص له إذ بلغ عددهم زهاء ثمانية آلاف مملوك [٧] .

---

(١) عاشور: مصر في عصر دولة المماليك البحرية، مكتبة النهضة، (القاهرة، ١٩٥٩)، ص١٢؛ عطية الله، أحمد: القاموس الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، ط١، (القاهرة، ١٩٦٦)، مج٢، ص ٥٥٧.

(٢) رشاد، عبد المنعم: العرب وجمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية – مجلة الدراسات التاريخية، تصدر عن بيت الحكمة، (بغداد، ١٩٩٩)، ص١٧.

(٣) فوزي، فاروق عمر: تاريخ العراق في عصور الخلافة العربية – الإسلامية، مكتبة النهضة، ط١، (بغداد، ١٩٨٨)، ص١٢٣، ١٢٤، ١٢٥؛ عاشور: العلاقات السياسية، ص١١.

(٤) المسعودي، أبو الحسن علي بن علي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الأندلس، ط٤، (بيروت، ١٩٨١)، مج٣، ص٤٦٥؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة الشرق الجديد، (بغداد، د.ت)، ص٣٣٦.

(٥) ابن عبد الظاهر، محيي الدين: تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق: مراد كامل، الشركة العربية للطباعة والنشر، (القاهرة، ١٩٦١)، ص٣٥.

(٦) ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام، ص٣٥.

(٧) ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة، (د.م، د.ت)، ج٣، ص٢٥٦.

وكذلك فعل الفاطميون عند انتقالهم من شمال أفريقيا إلى مصر سنة (٣٥٨هـ/٩٦٩م) فقد كانوا بحاجة إلى جيش كبير يستطيعون به حماية سلطانهم ومد نفوذهم إلى بلاد المشرق[١].

ولما قامت الدولة الأيوبية في مصر سنة (٥٦٧هـ/١١٧١م) جلب سلاطينها أعداداً ضخمة من المماليك [٢] .

وعني الصالح أيوب خلال فترة حكمه لمصر سنة (٦٣٦-٦٤٧هـ/١٢٣٨-١٢٤٩م) بالإكثار من شراء المماليك الأتراك بعد أن تبين له ضعف ولاء القواد الأكراد الذين كانوا في خدمته [٣] واختيار جزيرة الروضة في بحر النيل لإسكانهم فيها لذلك سموا بالمماليك البحرية نسبة إلى بحر النيل[٤] ، وخلال حقبة حكم الملك الصالح اكتسبت فرقة المماليك البحرية خبرة حربية واسعة بفضل اشتراك أعضاء تلك الفرقة في الحروب التي خاضها الصالح أيوب ضد أعدائه في الداخل والخارج [٥] .

وهكذا لم يلبث أن توصل المماليك البحرية إلى السلطة مستغلين الظروف والمتغيرات التي أحاطت بالمنطقة وعلى رأسها حملة لويس التاسع ملك فرنسا على مصر سنة (٦٤٧هـ/١٢٥٠م) ودور المماليك في التصدي للصليبيين والانتصار عليهم في

(١) ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام، ص٣٥.
(٢) حسن، إبراهيم علي: مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي إلى الفتح العثماني، مكتبة النهضة المصرية، ط١، (القاهرة، ١٩٤٧)، ص١٩٤؛ عاشور: الحركة الصليبية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٢، (القاهرة، ١٩٧١)، مج٢، ص١٠٧٥؛ عاشور: مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية، (بيروت، ١٩٧٢)، ص١٥١.
(٣) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٦، ص٣١٩؛ مبارك، سعادة علي باشا: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة، المطبعة الكبرى الأميرية، (بولاق مصر، ١٣٠٦هـ)، ج١، ص٦٢.
(٤) لمجي، صالح أحمد حسين: الحياة العلمية في مصر في عهد المماليك البحرية (٦٤٨-٧٨٤هـ/١٢٥٠-١٣٨٢م) رسالة ماجستير (غير منشورة)، مقدمة إلى عمادة كلية الآداب، جامعة الموصل، ٢٠٠٣، ص١٥.
(٥) الخويطر، عبد العزيز عبد الله: الملك الظاهر بيبرس، (الرياض، ١٩٧٦)، ص٩.

موقعة المنصورة [*] ثم فارسكور [**] في العام نفسه [١] وكذلك انتصارهم فيما بعد على المغول التتار في موقعة عين جالوت [***] سنة (٦٥٨هـ/١٢٦٠م) والتي أوقفت الزحف المغولي وأنقذت مصر من خطرهم وأقصت المغول عن الشام، كما أن الانتصار في عين جالوت سهل إعادة الوحدة بين مصر والشام وأعطت للمماليك السند الشرعي لحكم مصر والبلاد الإسلامية التي حرروها من الاحتلال المغولي وعجل هذا الانتصار بزوال الإمارات الصليبية في الشام كما دفعت المغول الذين حلوا بغربي آسيا إلى اعتناق الإسلام [٢].

وبذلك قامت دولة المماليك البحرية ابتداءً من سنة (٦٤٨-٧٨٤هـ/١٢٥٠-١٣٨٢م) بتولي الحكم السلطان المعز إيبك التركماني (٦٤٨-٦٥٥هـ/١٢٥١-١٢٥٧م)

(*) المنصورة: بلدة أنشأها الملك الكامل بن الملك العادل أيوب بين دمياط والقاهرة، الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٥٧، مج٥، ص٢١٢؛ الحميري، محمد بن عبد الله: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط١، (بيروت، ١٩٧٥)، ص٤٤٩.

(**) فارسكور: وهي قرية من قرى مصر قرب دمياط من كورة الدقهلية، ينظر: الحموي: معجم البلدان، مج٤، ص٢٨٨.

(١) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، (حوادث ووفيات ٦٤١-٦٥٠هـ)، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط٢، (بيروت، ٢٠٠٢)، ص٢٦٧؛ ابن إياس، محمد بن أحمد: تاريخ مصر والمشهور بـ(بدائع الزهور في وقائع الدهور)، المطبعة الأميرية، ط٨، (القاهرة، ١٨٩٤)، ج١، ص٧٩.

(***) عين جالوت: بلدة بين نابلس وبيسان من أعمال فلسطين وللمزيد من التفاصيل عن هذه الموقعة ينظر: أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل: تراجم القرنين السادس والسابع المعروف بـ(الذيل على الروضتين)، تعليق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠٠٢)، مج٣، ص٣١١؛ رؤوف، عماد عبد السلام: معركة عين جالوت، دار الحرية للطباعة، (بغداد، ١٩٨٦)، ص٥٣.

(٢) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي: السلوك لمعرفة دولة الملوك، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة، ١٩٤١)، ج١، ق٢، ص٣٦٨؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٧، ص٤.

(١) بدلاً من شجر الدر (****) أرملة الصالح نجم الدين أيوب التي تزوجت من الأمير عز الدين أيبك والتي خلعت نفسها من حكم مصر من أجل أيبك بعد أن رفض الأمراء الأيوبيون والخليفة العباسي المعتصم بالله (٦٤٠-٦٥٦هـ/١٢٤٣-١٢٥٨م) الاعتراف بسلطة شجر الدر(٢) وكان من أبرز سلاطين دولة المماليك البحرية: المعز عز الدين أيبك والمظفر سيف الدين قطز والظاهر بيبرس والمنصور سيف الدين قلاوون والناصر ناصر الدين محمد وغيرهم من السلاطين (٣) حيث بلغ عددهم ثمانية وعشرين سلطاناً آخرهم السلطان الصالح صلاح الدين حاجي بن شعبان الذي خلفه برقوق الجركسي في الحكم سنة (٧٨٤-١٣٨٢م) معلناً قيام دولة المماليك الجراكسة (٤) .

أما المماليك الجراكسة فهم عناصر قوقازية الجنس موطنهم الأصلي المنطقة الواقعة شرق البحر الأسود والتي تعرف اليوم بجمهورية جورجيا وقد تعرضت بلادهم إلى غزو المغول في النصف الاول من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي فازدادت أعدادهم في أسواق الرقيق ووصلت أعداد كبيرة منهم إلى بلاد الشام ومصر (٥) وإذا ما

(١) المقريزي: السلوك، ج١، ق٣، ص٣١١؛ رؤوف، معركة عين جالوت، ص٥٣.

(****) شجر الدر: وهي من جواري الملك الصالح نجم الدين أيوب اعتقها وتزوج بها وقد ولدت منه ابنها خليل الذي مات صغيراً وهي بالأصل تركية الجنس وقيل أرمينية، ينظر: المقريزي: السلوك، ج١، ق٢، ص٣٦١؛ الكزبري، سلمي الحضار: نساء متفوقات، دار العلم للملايين، ط١، (بيروت، ١٩٦١)، ص٢٤٠.

(٢) ابن العبري، غريغوريس أبو الفرج بن اهروب: تاريخ مختصر الدول، المطبعة الكاثوليكية، ط٢، (بيروت، ١٩٥٨)، ص٢٦٠.

(٣) المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بـ(الخطط المقريزية)، دار العرفان، (بيروت، ١٩٥٩)، مج٢، ص٢٣٦؛ سرور، محمد جمال الدين: دولة بني قلاوون في مصر، دار الفكر العربي، (القاهرة، ١٩٤٧)، ص١١٩؛ حسين، أحمد: موسوعة تاريخ مصر، دار الشعب للطباعة والنشر، (القاهرة، ١٩٧٩)، ج٢، ص٦٧٧.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٢١؛ عاشور: مصر في عصر دولة المماليك البحرية، ص٥.

(٥) القلقشندي، أحمد بن علي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرح وتعليق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٨٧)، ج١، ص٤٢٠-٤٢١؛ العريني، السيد الباز: المماليك، دار النهضة العربية، (بيروت، ١٩٦٧)، ص٦٣.

علمنا أن سلاطين الدولة البحرية كانوا أتراكاً فالبرجية شراكسة أو جراكسة باستثناء اثنين منهم وهما خشقدم وتمر بغا فهم روميان هذا وقد سموا بالبرجية لأنهم أقاموا في أبراج القلعة في القاهرة[١]، ويرجع تكوينهم كفرقة جديدة إلى بداية حكم سلطان الدولة البحرية المنصور قلاوون (٦٧٨-٦٨٩هـ/١٢٧٩-١٢٩٠م) الذي أكثر من شراء الجراكسة ليتخلص من صراع المماليك البحرية وليضمن الحفاظ على السلطنة له ولأبنائه من بعده [٢].

وقد حرص المنصور قلاوون على تربيتهم التربية الدينية والعسكرية ولم يسمح لهم بمغادرة القلعة مطلقاً، فلما توفي المنصور وخلفه ابنه الأشرف خليل (٦٨٩-٦٩٣هـ/١٢٩٠-١٢٩٣م) سمح لهؤلاء المماليك بالنزول من القلعة أثناء النهار والعودة إليها ليلاً، مما ترتب عليه أمران الأول انغماس المماليك في الحياة العامة ومشاكلها بعد أن خرجوا من عزلتهم واختلطوا بغيرهم من عامة الناس، والأمر الثاني هو أن المماليك البرجية لم يلبثوا أن استثاروا حقد سائر طوائف المماليك الأتراك بسبب ما أصبح فيه هؤلاء من نعمة وما حظوا به من مكانة مرموقة عند قلاوون وابنه [٣] وبعد مدة أصبحت أعداد هؤلاء الجراكسة كثيرة وغدوا أصحاب رتب عسكرية فمنهم الأمراء والقادة استطاعوا أن يتسلموا السلطنة وأن يحكموا البلاد[٤] .

وقد حكم الجراكسة مصر والشام مدة تقرب من المئة والأربعين عاماً وتعاقب في هذه المدة ستة وعشرين سلطاناً لم تزد مدة حكمهم على خمسة عشر عاماً إلا لأربعة منهم وهم الأشرف برسباي وقد حكم ١٦ سنة (٨٢٥-٨٤١هـ/١٤٢٢-١٤٣٨م) والظاهر جقمق العلائي حيث حكم ١٥ سنة (٨٤٢-٨٥٧هـ/١٤٣٨-١٤٥٢م) والأشرف قاتيباي ومدة حكمه ٢٩ سنة (٨٧٢-٩٠١هـ/١٤٦٨-١٤٩٦م) والأشرف قانصوه الغوري وقد حكم ١٦

(١) المقريزي: الخطط، مج٢، ص٢٤١؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٧، ص٣٣٠؛ حتي، فيليب: تاريخ العرب المطول، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، ط٢، (بيروت، ١٩٥٣)، ج٣، ص٧٩٥.

(٢) المقريزي: الخطط، مج٢، ص٢٤١.

(٣) عاشور: العصر المماليكي، ص١٤٢.

(٤) شاكر، محمود: التاريخ الإسلامي- العهد المملوكي، المكتب الإسلامي، ط٥، (بيروت، ٢٠٠٠)، ج٧، ص٧٠.

سنة (٩٠٦-٩٢٢هـ/١٥٠١-١٥١٦م)[١] وبالتالي فإن السلاطين البرجية قد ملك منهم تسعة مدة ١٢٤ سنة وهم: برقوق وفرج والمؤيد شيخ وبرسباي وجقمق واينال وخشقدم وقايتباي وقانصوه الغوري، أما الباقون فكانوا كلهم تقريباً قليلي الأهمية [٢] .

وانتهى حكم المملوكي عموماً في مصر عاماً (٩٢٣هـ/١٥١٧م) والعنصر الشركسي (البرجي) بشكل خاص على أثر الهزيمة التي مني بها السلطان طومان باي (٩٢٢-٩٢٣هـ/١٥١٦-١٥١٧م) على أيدي القوات العثمانية في معركة الريدانية [*] ودخول العثمانيين مصر وإنهائهم حكم دولة الجراكسة [٣] .

المبحث الأول
الوحدة والتنوع في نظم الإدارة والحكم
في الدولتين البحرية والبرجية(الجركسية)

بلغت نظم الإدارة والحكم في دولة المماليك درجة كبيرة من الدقة والأحكام، فوجدت إدارة مركزية مقرها القاهرة وعمادها مجموع من الدواوين وكبار الموظفين، ووجدت إدارة محلية تشرف على الأقاليم وعلى رأسها مجموعة من النواب والولاة وعلى رأس هذا الجهاز الضخم وجد سلطان المماليك يوجه أمور البلاد والعباد ويتلقى الأخبار والرسائل عن طريق شبكة محكمة من خطوط البريد ومن هذه النظم الإدارية.

١- السلطان

عند الكلام عن عناصر الوحدة لجهاز الحكم زمن الدولتين البحرية والبرجية، نجد سلطان المماليك على رأس السلطة ، وهو في الوقت نفسه رئيس الجهاز الحكومي وصاحب أعلى سلطة فيها وقد تلقب سلاطين الدولتين بألقاب عديدة منها (سلطان

(١) شاكر: التاريخ، ج٧، ص٧١.
(٢) حتي: تاريخ العرب، ج٣، ص٨١٩.
(*) الريدانية: وهي المعركة التي دارت خارج القاهرة بين المماليك بقيادة طومان باي وبين العثمانيين سليم الأول وانتهت بهزيمة المماليك ودخول العثمانيين مصر، وهروب طومان باي ثم إلقاء القبض عليه وقتله في سنة (٩٢٣هـ/١٥١٧م)، ينظر: عاشور: مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، ص٢٦٢.
(٣) زيدان، جرجي: تاريخ مصر الحديث، دار الهلال، ط٣، (القاهرة، ١٩٢٥)، ج١، ص٣٧٢-٣٨١.

الإسلام والمسلمين) ويشير اللقب إلى حرص سلاطين المماليك على التمسك بالإسلام ومحاولة إضفاء صفة شرعية على حكمهم [١]، على أنه لا ينبغي أن يفهم من ذلك أن جميع سلاطين المماليك اشتركوا في ألقاب واحدة، وإنما اختلفت الألقاب التي اتخذها كل سلطان عن الآخرين فنجد التنوع والاختلاف في الألقاب، فمنها (السلطان، الأعظم، العالم، العادل) وأيضاً (السيد، الأجل، الكبير) وكذلك الألقاب الدينية مثل سيف الدين، أو حسام الدين أو زين الدين أو عز الدين أو ركن الدين إلى آخره [٢] .

ونجد عنصر الوحدة أيضاً في الدولتين البحرية والبرجية وذلك أن السلطان في الدولة المملوكية الأولى والثانية عند اعتلائه العرش ولكي يحتفظ بالسلطنة كان عليه أن يخيف ويقتل ويسجن وينفي أعداءه، أو أن يتقرب من كبار الأمراء ويوزع عليهم الإقطاعات والوظائف، أو أن يلجأ ليجعل كبار الأمراء يعيشون معه في القلعة ليكونوا تحت نظره، وبلغت هذه الطريقة الذروة على عهد دولة المماليك البرجية أن أغلب من يصل إلى السلطنة كان يكتفي بنفي أعدائه دون قتلهم، خوفاً من أنه إذا عزل يقع في المصير نفسه، وكانت أشهر أماكن النفي: الإسكندرية ودمياط وقوص بمصر والكرك بالشام [٣] .

ونحن نبحث عن عناصر الوحدة والتنوع في نظم حكم الدولتين البحرية والبرجية لا بد من إلقاء الضوء على طبيعة المماليك وأصلهم وتربيتهم ونشأتهم، وهنا نجد عنصر الوحدة أيضاً، حيث أن هذه الصفات الثلاثة جعلتهم جميعاً يشعرون بالمساواة، بحيث لا تكون هناك ميزة أو فضل لأحدهم على آخر، فكلهم كانوا رقيقاً في يوم من الأيام، جلبوا من بلاد بعيدة ليعيشوا أحزاباً في بيئة جديدة، ويربون تربية مشابهة حتى يتحرروا ويشقوا طريقهم ليظهروا على سطح الحوادث بأسلوب يكاد يكون واحداً [٤] .

---

(١) عاشور: العصر المماليكي، ص٣٦٣.

(٢) عاشور: العصر المماليكي، ص ٣٦٣؛ ماجد، عبد المنعم: نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، (مصر، ١٩٦٤)، ج١، ص٢٩.

(٣) ماجد: نظم دولة سلاطين المماليك، ص٢٨.

(٤) قاسم، عبده قاسم: نظم الحكم والإدارة في عصر الأيوبيين والمماليك، موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، دار الفارس للنشر والتوزيع، ط١، (بيروت، ١٩٩٥)، ص٣٤٧.

وفي تتبعنا لنظم الحكم زمن دولة المماليك البحرية والمماليك البرجية نجد عنصر التنوع أيضاً في مسألة مبدأ الحكم الوراثي والذي حاول سلاطين دولة المماليك البحرية تطبيقه في عناد وإصرار، والذي ظهر بوضوح في بيت قلاوون، هذا المبدأ لا نجده في دولة المماليك البرجية، والواقع أن سلاطين دولة المماليك البرجية كانوا زعماء أو أمراء كبار أكثر منهم سلاطين، وكان نجاح السلطان في الحكم يتوقف على مدى توفيقه في توجيه كبار الأمراء، وضرب طوائف المماليك بعضها ببعض، فإذا استطاع السلطان الاحتفاظ بمنصبه حتى الوفاة فإن ابنه كان يخلفه عادة، ولكن لعدة أشهر فقط، ذلك أن اختيار ابن السلطان الراحل لم يتم بناء على إيمان الأمراء بمبدأ الوراثة، وإنما كحل مؤقت حتى ينجلي الموقف بين كبار الأمراء ويظهر من بينهم أمير قوي يستأثر بالعرش لنفسه [١].

أما مركز السلطنة وقاعدة الحكم في عصر الدولتين البحرية والبرجية فقد سار سلاطين الدولتين على سنة سلاطين الأيوبيين في سكن قلعة الجبل في القاهرة ، هذه القلعة هي – مركز الحكم ودار الملك – حيث احتوت القلعة على دار الوزارة ودواوين الحكومة مثل ديوان الإنشاء وديوان الجيش، وأن أي أمير استطاع أن يصل إلى منصب السلطنة، فإنه يصعد إلى قلعة الجبل – لأن سلطنة لا تتم إلا بدخوله قلعة الجبل [٢] .

ونجد عنصر الوحدة أيضاً في تعامل سلاطين المماليك الدولتين مع الخلافة العباسية التي تم أحياؤها في القاهرة عام (٦٥٩هـ/١٢٦١م)، حيث نهج سلاطين المماليك الطريقة نفسها في تعاملهم مع الخليفة العباسي، حيث وصل الاستخفاف بمقام الخلافة إلى حد جعل سلاطين المماليك يتلاعبون بالخلفاء، ضاربين عرض الحائط بجميع المسوغات التي تظاهروا بها لإحياء الخلافة، فقد عمدوا إلى إقامة خلفاء ضعفاء أو مشكوك في اصولهم ، بقصد تهميش دور الخليفة وتجريده من مهابته، وكان من الطبيعي أن ينتج عن حالة اختلال في التوازن بين السلطة الروحية المتمثلة بالخليفة والسلطة الزمنية المتمثلة بالسلطان لصالح الأخير، حيث فقد الخليفة امتيازاته الأساسية والتي كان

(١) عاشور: العصر المماليكي، ص١٥٨-١٥٩.
(٢) المقريزي: السلوك، ج٢، ق٢، ص٦٥٨.

من أبرزها حق نقش أسمائه على السكة إلى جانب أسماء السلاطين وذكر أسمائهم في خطبة الجمعة [١] .

يستنتج مما تقدم أن الخلافة كمقام ديني ودنيوي لم تستطع أن تصمد أمام طموحات سلاطين المماليك الذين لم يألوا جهداً في انتزاع الصلاحيات الدنيوية للخلفاء، وتركوا لهم سلطاتهم الروحية وذلك لحاجة هؤلاء الحكام إلى غطاء ديني لإضفاء الصفة الشرعية على حكمهم وفرض سيطرتهم على رعاياهم، ولا ريب في أن انفصال السلطتين الدينية والزمنية كان له أثره في إضعاف مقام الخلافة واستبداد السلاطين بالنفوذ.

٢- نائب السلطنة

ويتضح من اسم هذه الوظيفة أن صاحبها كان بمثابة الوكيل عن السلطان وساعده الأيمن في تصريف شؤون الدولة بل كان (السلطان الثاني) ، في حالة غياب السلطان عن القاهرة على قول القلقشندي [٢] وعنصر الوحدة وجد هنا أيضاً في وجود نوعين من نيابة السلطنة في الدولتين المملوكية البحرية والبرجية، فهناك النائب الكافل أو نائب الحضرة، وهو الذي ينوب عن السلطان أثناء وجوده وإقامته في مصر، وهناك نائب الغيبة وهو أقل درجة وينوب عن السلطان أثناء غيبته فقط، من حرب أو حج أو غير ذلك [٣] .

وكان نائب السلطنة (الكافل) يتمتع بصلاحيات إدارية متعددة فهو ينظر في كل الأمور التي يحكم فيها السلطان، كالجلوس للحكم بين الناس [٤] كما كان يقوم مقام السلطان في كثير من الأمور المتعلقة بنيابته من ذلك رعاية الموظفين ورعاية الأوقاف والاهتمام بعمارة البلاد والتقرب من الرعية ولاطلاع الأخبار وإبلاغ المركز بها، وتفقد

(١) حطيط، أحمد: قضايا من تاريخ المماليك السياسي والحضاري، ط١، الفرات للنشر والتوزيع، (د.م، ٢٠٠٣)، ص١٤٤.

(٢) صبح الأعشى، ج٥، ص٤٥٣.

(٣) عاشور: العصر المماليكي، ص٣٦٦.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص١٥١.

عساكر المملكة وحثهم على الخدمة وحفظ الأمن وحماية الثغور وإقامة العدل [١] . وباختصار كان يقوم بكل ما يستوجب ان يقوم به السلطان من أعمال .

أما صلاحيات نائب (الغيبة) حيث يقوم بمهام السلطان وصلاحياته عند خروج السلطان على رأس الجيش في مهمة خارج مصر أو للصيد [٢] وكذلك من صلاحيات نائب الغيبة الحكم بين الناس، وتعيين الأمراء في الوظائف كتعيين والي القاهرة والمحافظة على النظافة وتحديد أسعار النقود [٣] .

٣- الأتابك

وهو القائد العام للجيش في الدولة المملوكية، ولقب أتابك يطلق عند السلاجقة على الوصي أو المربي أو المؤدب، ثم أصبح من ألقاب التشريف التي تخلع على كبار الأمراء حتى غدا في عصر المماليك لا يطلق إلا على قائد العسكر، ومن الواضح أن صاحب هذه الوظيفة يتمتع بنفوذ كبير وكلمة عالية في الدولة بوصفه رأس الجيش وصاحب القوة الضاربة بين كبار الأمراء[٤]، وأدل على نفوذ الأتابكة وقوتهم من أن كثيراً منهم وصلوا إلى دست السلطنة إما عن طريق التآمر أو بفضل قوتهم، أما إذا ولي سلطان قاصر، فإنه كان يصبح ألعوبة في يد أتابك الجيش يتحكم فيه كيفما شاء، كما فعل الأمير زين الدين كتبغا المنصوري عندما استبد بالسلطان الناصر محمد في سلطنته الأولى(٦٩٣-٦٩٤هـ/١٢٩٣-١٢٩٤م)، حتى انتهى الأمر بالأتابك إلى إعلان نفسه سلطاناً سنة (٦٩٤هـ/١٢٩٤)[٥] .

(١) السبكي، تاج الدين عبد الوهاب: معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق: محمد علي النجار وآخرون، مطبعة دار الكتاب العربي، (القاهرة، ١٩٤٨)، ص٢١.
(٢) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٢٨.
(٣) الصيرفي، علي بن داؤد: نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق: حسن حبشي، مطبعة دار الكتب، (د.م، ١٩٧٠م)، ج٢، ص٣١٠، ٢٢٦، ٣٦٢، ٢٤٩.
(٤) الزيدي، مفيد: موسوعة التاريخ الإسلامي (العصر المملوكي)، دار أسامة للنشر والتوزيع، (عمان، ٢٠٠٣)، ص٢١٥.
(٥) عاشور: العصر المماليكي، ص٣٦٧.

٤- الوزير

أما الوزير فكان هو الآخر يلي نائب السلطنة في المرتبة، وفي كثير من الأحيان، أصبح نائب السلطنة محل الوزير في السلطة كقوة ونفوذ ولم يترك الأول للوزير الكثير من النفوذ، وأصبحت وظيفته تنفيذ تعليمات السلطان ونائب السلطنة والإشراف على الشؤون المالية في الدولة والاشتراك مع ناظر الدولة [١] .

وفي بعض الأحيان عين سلطان المماليك وزيرين في وقت واحد أحدهما من أرباب الأقلام أو المعممين وأطلق عليه وزير الصحبة، والثاني من أرباب السيوف أو الأمراء وأطلق عليه الوزير فقط، ولا أدل على تناقص أهمية الوزارة في عصر المماليك من أن هذه الوظيفة كانت تلغى في بعض الأحيان، أو تظل شاغرة دون أن يحدث خلل في الجهاز الإداري للدولة، بل لقد حدث أن أُلغي نظام الوزارة سنة (٧٢٧هـ/١٣٢٧م) وظل منصب الوزير شاغراً سبع عشرة سنة إلى أن أُعيد سنة (٧٤٤هـ/١٣٤٣م)[٢] .

٥- الولاية

كانت وظيفة الولاية من إحدى وظائف أرباب السيوف وهي ضمن التنظيمات الإدارية للدولتين المملوكتين البحرية والبرجية، إذ كان على متوليها وهو ما يعرف بالوالي العناية بشؤون الأمن والإشراف عليه، وغالباً ما كان الوالي الذي يتولى هذا المنصب من أمراء الكبار[٣] وقد كان أفراد هذه الوظيفة يختارون دائماً من بين الأمراء ليقوموا بوظيفة المحافظ في المدن الكبرى أو المدير في الأقاليم [٤] كما كان من واجبات الولاة مراقبة أبواب المدن وحماية أهلها من الفاسدين ومن العابثين، وتدق للوالي الطبول ويكتب له مرسوم بالولاية[٥] .

٦- الحجابة

(١) الزيدي: موسوعة، ص٢١٥، ٢١٦.
(٢) عاشور: العصر المماليكي، ص٣٦٧، ٣٦٨.
(٣) السبكي: معيد، ص٤٣؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٢٤.
(٤) عاشور: العصر المماليكي، ص٣٦٨.
(٥) الزيدي: موسوعة، ص٢١٦.

عرفت وظيفة الحجابة ضمن التنظيمات الإدارية للدولتين البحرية والبرجية، وكان يتولى وظيفة الحجابة أميراً كان يعرف بحاجب الحجاب [١] الذي كان في الغالب يكون من مقدمي الألوف [٢] يعاونه حاجبان آخران برتبة أمير عشرة [٣] .

وقد تطلبت مهمة الحجابة الحكم بين الأمراء والجند تارة بنفسه، وتارة أخرى بمراجعة نائب السلطنة في مصر إن وجد، وعرض الجند، وتقديم ما من يرد إلى السلطان والاستئذان إليهم[٤]، وكذلك التحقق من تنفيذ أوامر السلطنة وكذلك قيامه بمهمة نائب الغيبة عند خروج النائب في مهمة [٥] .

٧- الدوادارية

إحدى الوظائف العسكرية في دولة المماليك، ويتولاها موظف يسمى الداودار، وهو لقب مركب من لفظين الأول عربي وهو (دواة) والثاني فارسي وهو (دار) وتعني الصاحب أو المسك، فيصبح معناها صاحب الدواة، ومهمتها تبليغ الرسائل عن السلطان وإبلاغ عامة الأمور وتقديم القصص إليه، والمشاورة فيمن يحضر لمقابلته، فضلاً عن تقديم البريد وأخذ توقيع السلطان على عامة المناشير والتواقيع والكتب الصادرة من السلطان [٦] وهنا نجد عنصر الوحدة أيضاً، حيث كان يتولى منصب الدوادارية في بداية حكم المماليك الأولى أمير عشرة أو أمير طبلخاناة، وفي بعض الأحيان أمير مائة تقدمه ألف، فلما تلوى السلطان الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون السلطنة (٧٦٤-٧٧٨هـ/١٣٦٢-١٣٧٦م)، ولي الدوادارية أحد كبار أمراء المائة تقدمة الألف،

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص١٩٢.
(٢) مقدمي الألوف: مفردها مقدم ألف، وهو الأمير الذي يتقدم مائة فارس فمن دونه من الأمراء، ويسمى أيضاً أمير مائة وهي أعلى الرتب العسكرية المملوكية، ومنهم يكون أكابر أرباب الوظائف والنواب، للمزيد: ينظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص١٤.
(٣) أمير عشرة: إحدى الرتب العسكرية المملوكية يتقدم صاحبها عشرة من الفرسان المماليك، ومن هذه الرتب يكون صغار الولاة وأرباب الوظائف، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص١٥.
(٤) السبكي: معيد، ص٤٠؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٢٠.
(٥) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص١٩٢.
(٦) المقريزي: الخطط، ج٢، ص٢٢٢؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص١٩.

وحين تولى السلطان برقوق السلطة اقتدى بالسلطان الأشرف شعبان وعين الأمير يونس الدوادار في منصب الدوادارية برتبة أمير مائة تقدمة ألف، وعندما عاد إلى السلطنة ثانية منح الدوادار صلاحيات أوسع كالأشراف على الشؤون المالية والحكم في المنازعات وتعيين الموظفين وعزلهم [١] .

٨- الاستادارية

إحدى وظائف أرباب السيوف وموضوعها الإشراف على البيوت السلطانية من المطابخ والشراب والحاشية والغلمان، والمشي في طلب السلطان، والحكم في غلمان السلطان وباب داره، والتصرف التام في ما يحتاج إليه كل من في بيت السلطان من النفقات والكسوة وكذلك المماليك السلطانية [٢] .

وفي سنة (٧٩٧هـ/١٣٩٤م) طرأ تطور على وظيفة الاستادارية، حيث أصبح مسؤولاً عن ثلاثة دواوين مالية: الخاص والمفرد والأملاك، وعليه توزيع المرتبات على المماليك، وصرف العليق لدوابهم، لذلك كثيراً ما تعرض له المماليك بالضرب لعدم استطاعته الوفاء بالتزاماته تجاههم، وقد ألزم أحياناً بدفع الرواتب من ماله الخاص، لذلك كثيراً ما كان الاستادار يسيء استغلال وظيفته ويغرم الناس ضرائب فوق العادة [٣] .

٩- الجاشنكيرية

وهي من وظائف أرباب السيوف، ومهمتها الأشراف على طعام السلطان وتذوقه مع الاستادار، ويقف الجاشنكير على مائدة السلطان مع الاستادار، ويكون كبيرهم من الأمراء المقدمين في الدولة [٤] .

١٠- الخازندارية

(١) المقريزي: الخطط، ج٢، ص٢٢٢؛ السلوك، ج٣، ق٢، ص٧٠٦؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٢٠.

(٢) السبكي: معيد، ص٢٦؛ المقريزي: الخطط، ج٢، ص٢٢٢؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٢٠.

(٣) ضومط، خليل انطوان: الدولة المملوكية، ط٢، دار الحداثة، (بيروت، ١٩٨٢)، ص٧٢.

(٤) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٢٢؛ ضومط: الدولة المملوكية، ص٧٢.

وموضوعها الأشراف على خزائن الأموال السلطانية من مال وقماش وخلع وتشاريف ويتولاها موظف يسمى خازندار [١] .

ومن خلال استقراء النصوص التاريخية نجد أن الجهاز الإداري الضخم على عهد الدولتين المملوكيتين البحرية والبرجية امتاز بعنصر الوحدة في الدولتين المملوكية البحرية والبرجية، وسبب ذلك أن كلتا الدولتين اعتمدت على مجموعة الوظائف الإدارية نفسها والتي استحدثت في زمن الدولة المملوكية البحرية واستمرت الأنظمة والوظائف نفسها في دولة المماليك البرجية ولم يجرِ عليها أي تغيير.

أضف إلى ذلك أن هذا الجهاز الإداري اعتمد على مجموعة من الدواوين الكبيرة التي ضمت عدداً من الموظفين لإدارة مرافق الدولة الحربية والمالية وغيرها، فضلاً عن أعداد المكاتبات والرد على الرسائل وإرسال التعليمات والرغبات... وانقسم الموظفون في عصر المماليك إلى قسمين أرباب السيوف وأرباب الأقلام، أما أرباب السيوف فهم رجال الحرب من المماليك – الطبقة المميزة في البلاد – ولا يجوز أن يتولى وظائفهم ذات الصبغة الحربية أحد من المصريين أو من غير المماليك، وأما أرباب الأقلام فهم المعممين من المصريين والشاميين [٢] .

أما أهم دواوين الحكومة المملوكية فهي:

١- ديوان الجيش

من أهم الدواوين المملوكية، وقد تمتع ديوان الجيش بأهمية كبرى في دولة المماليك وهي الدولة ذات الصبغة الحربية والتي اعتمدت في قيامها وبقائها على فكرة الحرب والقتال[٣] ولفهم عمل ديوان الجيش، نشير أولاً إلى أن الجيش المملوكي تألف من ثلاث طوائف أساسية هي الممالك السلطانية وأجناد الحلقة ومماليك الأمراء، أما المماليك السلطانية فهم مماليك السلطان القائم، وأما أجناد الحلقة فهم مماليك السلاطين والأمراء السابقين وأولادهم وهؤلاء احترفوا الجندية وأصبحوا بمثابة جيش ثابت للدولة ينفق على

(١) ضومط: الدولة المملوكية، ص٧٢.
(٢) عاشور: مصر في عصر دولة المماليك البحرية، ص١٤٤.
(٣) عاشور: العصر المماليكي، ص٣٧١.

أفراده من ديوان الجيش وأخيراً تأتي الطائفة الثالثة التي تشمل مماليك الأمراء، وهم المماليك الذين اشتراهم أمراء المماليك – كل حسب سمته ورتبته وإقطاعه – وتعهدوهم بالتربية والعناية [١].

ويشرف هذا الديوان على جميع الوحدات السابقة في حفظ الأوراق والأسماء والمهام وتسجيل الاقطاعات والمساحات وأنواعها ونفقات هؤلاء الجنود، ويرأس ديوان الجيش موظف كبير هو (ناظر الجيش) وهو أهم وظائف الدولة، ويتولى أمر الاقطاعات في مصر والشام ويصدر أوامره بتدوين كل ما يتعلق بهذه الاقطاعات في سجل خاص ويستشير السلطان في شؤونها، ويساعد ناظر الجيش موظفون كبار، صاحب ديوان الجيش، وينوب عن الناظر في تصريف شؤون الديوان ومستوفي الجيش ومهمته تحديد الرواتب التي تصرف للجند وتدوينها في كشوفات خاصة، وناظر الجيش وعمله موظف كبير يعرف باسم (نقيب الجيش) ويعهد إليه أمر حراسة السلطان أثناء سفره أو حين خروجه في الموكب، ويشترط أن يكون هؤلاء الموظفين على جانب كبير من الدقة والأمانة [٢] .

٢- ديوان الإنشاء

وهو من الدواوين المهمة، ووظيفته تبادل المكاتبات الرسمية الخاصة بالدولة وهي المكاتبات التي ترد إلى السلطان في مختلف الدول وإعداد الردود عليها، فضلاً عن إعداد الرسائل التي يبعث بها السلطان إلى مختلف الملوك والأمراء، وتلقب صاحب ديوان الإنشاء في عصر المماليك بناظر الإنشاء الشريف، كما أضيفت عليه عدة ألقاب أخرى تشير كلها إلى خطورة مهمته بوصفه الأمين على أسرار الدولة ودخائل السلطان وروعي في اختيار صاحب هذا الديوان أن يكون: فصيح الألفاظ طلق اللسان أصيلاً في قومه وقوراً حليماً... الخ [٣] .

(١) عاشور: مصر في عصر دولة المماليك البحرية، ص١٤٥.
(٢) الزيدي: موسوعة، ص٢١٧.
(٣) عاشور: مصر في عصر دولة المماليك البحرية، ص١٤٦.

٣- ديوان الأحباس (الأوقاف)

هو دائرة أوقاف ويشرف صاحبها على المساجد والجوامع والربط والزوايا والعقارات المحبوسة عليها، ويقوم برعاية المؤسسات الخيرية والدينية ويشرف على الأراضي والعقارات الموقوفة عليها، والإحسان للفقراء والمعوزين وطلبة العلم [١] .

٤- ديوان النظر

أما ديوان النظر، فاختص بمراقبة حسابات الدولة والإشراف على إيراداتها ومصروفاتها وما يتبع ذلك من القيام بصرف مرتبات الموظفين، وكان جانب من هذه المرتبات يصرف نقداً، في حين صرف الجانب الآخر عيناً، من غلات ولحوم وتوابل وسكر وشمع عدا الكسوة، ومن الواضح أن أصنافاً مثل الخبز واللحوم كانت توزع على الموظفين والمستحقين يومياً، في حين كان السكر والزيت والشمع ونحوها توزع شهرياً، أما الكسوة فكانت سنوية، وناظر هذا الديوان من أكبر موظفي الدولة وأهمهم عملاً وأعلاهم قدراً [٢] .

٥- ديوان الخاص

وتفرع عن ديوان النظر منذ القرن الثامن الهجري، الرابع عشر للميلاد ديوان خاص بالسلاطين، ذلك أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون أنشأ ديواناً أطلق عليه اسم (ديوان خاص) للإشراف على شؤون السلطان المالية، مراقبة الخزانة السلطانية، وعهد بالإشراف على هذا الديوان إلى موظف كبير أطلق عليه (ناظر الخاص) وهو اللقب الذي حور إلى (ناظر الخاصة) في بعض الدول الملكية في العصور الحديثة [٣] . وهناك دواوين اخرى نظمت سير الحكم في دولة المماليك مثل ديوان الطواحين ، ويشرف

(١) عاشور: العصر المماليكي، ص٣٧٦.
(٢) قاسم: نظم الحكم، ص٣٧١.
(٣) عاشور: مصر في عصر دولة المماليك البحرية، ص١٥١.

صاحبه على طحن الغلال ، وديوان الاهراء الذي يشرف على مخازن الغلال السلطانية [١] .

وهنا لابد من الاشارة الى الوظائف الإدارية (الدينية)، ومنها :

١. القضاء

إن لمنصب القضاء مكانة مهمة في التاريخ الإسلامي، وذلك لما له من مساس بتطبيق الشريعة الإسلامية والمتعلق بشكل خاص بتحقيق العدالة، وقد كان يتولى منصب القضاء في عهد الأيوبيين قاض قضاة واحد في القاهرة وفي بلاد الشام [٢] إلا أنه باعتلاء المماليك السلطنة في مصر وبلاد الشام حدث تغيير مهم في وظيفة القضاء خاصة بعد أن قرر السلطان الظاهر بيبرس سنة (٦٦٣هـ/١٢٦٥م) أن يتولى مهمة القضاءقضاة من المذاهب السنية الأربعة [٣] ونفذ قرار بيبرس في دمشق وفي حلب في السنة التالية [٤] .

من خلال التتبع لعناصر الوحدة والتنوع في تطور الوظائف الإدارية الدينية ومنها وظيفة القاضي في الدولتين المملوكية والبحرية والبرجية يبرز عنصر الوحدة بين الدولتين وذلك من خلال تطبيق الدولتين تنظيماً إدارياً دينياً واحداً في مصر وبلاد الشام، وفي الوقت نفسه يبرز عنصر الوحدة من خلال كثرة اختصاصات القضاة وتنوع مسئولياتهم في كلا الدولتين البحرية والبرجية، حيث لم تقف مسؤولية القضاة عند حد الفصل في قضايا الأحوال الشخصية، وإنما امتدت إلى جميع أنواع القضايا عن مدنية وجنائية هذا

(١) عاشور: العصر المماليكي . ٣٣٧

(٢) ماجد: نظم دولة سلاطين المماليك، ص٩٤؛ حسن، إبراهيم علي: دراسات في تاريخ المماليك البحرية، ط٢، مطبعة الشبكشي، (القاهرة، ١٩٤٨)، ص٢٨٦.

(٣) منذ سلطنة الظاهر بيبرس إلى سقوط دولة المماليك عين أربعة قاضي قضاة، وانتقل كل واحد منهم عن الآخر، وكانوا يسمون الحكام الأربعة، كل منهم يحكم بمذهب، وهم القاضي الشافعي، الحنفي، المالكي، الحنبلي، ينظر: (ماجد: نظم دولة سلاطين المماليك، ص٩٤)، وقد أراد الظاهر بيبرس من تقسيم مناصب القضاة بين القضاة من المذاهب الأربعة ضمان العدل بين الناس والتسهيل عليهم، حسن: دراسات، ص٢٨٧.

(٤) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر: البداية والنهاية، دار ابن كثير، (بيروت، د.ت)، ج١٣، ص٢٤٥، ٢٤٦.

فضلاً عن إمامة المسلمين ونظر الوصايا والأحباس وبشؤون اليتامى والمحجور عليهم والتدريس بالمدارس [١] وهنا يظهر عنصر الوحدة المذهبية بين الدولتين الأولى والثانية وخاصة أنه كان هناك أربعة قضاة للمذاهب الأربعة السنية على عهد الدولتين.

٢- الحسبة

وكانت وظيفة الحسبة قوية الصلة بالسلطة القضائية في تلك العصور، حتى أنه كان يحدث في كثير من الأحيان أن يسند القضاء والحسبة إلى فرد واحد، والواقع أنه إذا كان عمل القاضي يتصف بشيء من البطء لأنه يقوم على الروية والتثبت من صحة الوقائع فإن عمل المحتسب قام على أساس سرعة البت في المخالفات التي تتعلق بالآداب العامة ونظام الأسواق ومراعاة الأمانة في المعاملات التجارية وآداب الطريق ونحوها، وقد كانت وظيفة الحسبة من الوظائف الدينية ضمن التنظيمات الإدارية للدولة المملوكية حيث كان المحتسب يتولى هذه الوظيفة بتوقيع من نائب السلطنة [٢] .

الخاتمة:

بعد استعراض أهم ركائز النظام الإداري لدولتي المماليك البحرية والبرجية، فإن بالإمكان إبراز أهم عناصر الوحدة والتنوع في كلا الدولتين وكالآتي:

أولاً: عناصر الوحدة

١- فيما يتعلق بالنظم الإدارية لكلا الدولتين فإن أهم عناصر الوحدة فيها باعتماد كلا الدولتين على المماليك الذين كان يجلبهم التجار من موطنهم الأصلي في بلاد القفجاق والبحر الأسود وكانوا من المماليك البيض ليباعون في أسواق النخاسة في مصر وبلاد الشام.

٢- اعتماد كلا الدولتين على نظام السلطنة إذ كان السلطان يمثل قمة الهرم الإداري في كلا الدولتين.

٣- اتخاذ سلاطين كلا الدولتين ألقاباً متعددة منها ما هو ديني كحسام الدين أو عز الدين ومنها ما هو دنيوي كالسلطان الأعظم والسلطان العادل.

---

(١) عاشور: العصر المماليكي، ص٣٧٩.

(٢) عاشور: مصر في عصر دولة المماليك البحرية، ص١٥٥؛ الزيدي: موسوعة، ص٢٢٠، ٢٢١.

٤- اختيار كلا الدولتين لقلعة الجبل كمركز للحكم وإدارة الدولة جرياً على سنة سلاطين الدولة الأيوبية.

٥- اعتماد أسلوب تصفية الخصوم من قبل سلاطين الدولتين بالقتل أو النفي عند اعتلاء عرش السلطنة.

٦- كان موقف سلاطين الدولتين موحداً في موقفهما من الخلافة العباسية والتي تم إحياؤها في القاهرة عام (٦٥٩هـ/١٢٦١م) إذ نهج سلاطين كلا الدولتين النهج ذاته مع الخليفة العباسي الذي حددوا سلطته بالجانب الروحي في حين احتفظوا هم بالسلطة الزمنية المتمثلة بالسلطان.

٧- اعتمد النظام الإداري في كلا الدولتين على وجود نوعين من منصب نيابة السلطنة، فكان هنالك النائب الكافل أو نائب الحضرة ونائب الغيبة.

٨- اعتمد منصب الأتابك من قبل الدولتين علماً أن هذا المنصب كان يعني أساساً بتربية أبناء السلاطين في عصر السلجوقي لكنه شهد تطوراً ملحوظاً في العصر المملوكي لتحوله إلى منصب عسكري إذ كان يعد متوليه قائداً للجيش.

٩- بالنسبة لمنصب الوزير في العصر المملوكي الأول والثاني فقد عين وزيران في آن واحد اختص أحدهما بالأمور الكتابية والدينية وكان يطلق عليه لقب وزير الصحبة أما الوزير الثاني فقد اختص بالشؤون العسكرية وكان يطلق عليه لقب وزير فقط.

١٠- أما منصب الوالي فقد أُسندت إليه في كلا الدولتين البحرية والبرجية العديد من المهام الإدارية والتي تشبه إلى حد بعيد المهام الإدارية الملقاة على عاتق المحافظ في الوقت الحالي.

١١- اشتركت الدولتان باعتمادهما على مجموعة من الوظائف الإدارية كالدوادارية والاستادارية والجاشنكرية والخازندارية.

١٢- ضم الجهاز الإداري في كلا الدولتين مجموعة من الدواوين الكبيرة التي ضمت أعداداً كبيرة من الموظفين لإدارة مرافق الدولة الإدارية المختلفة، وكان من أهم تلك الدواوين ديوان الجيش والإنشاء والأحباس (الأوقاف).

ثانياً: عناصر التنوع

١. بالنسبة للنظام الإداري لكلا الدولتين البحرية والبرجية فإن التنوع يبرز أولاً في تنوع العنصر البشري الذي اعتمدت عليه كلا الدولتين والمتمثل بالمماليك، حيث كان الأصل العرقي للمماليك البحرية التركي، في حين كان المماليك البرجية جراكسة الأصل.

٢. يبرز التنوع في اعتماد المماليك البحرية على تثبيت الحكم الوراثي في حين نجد أن دولة المماليك البرجية غلب عليها أسلوب التوافق بين كبار الأمراء في عملية اختيار السلطان.

٣. بالرغم من اتخاذ سلاطين الدولتين للألقاب السلطانية فإن التنوع يبدو جلياً من خلال تنوع تلك الألقاب مثل (السيد الأجل، الكبير، الخ...).

THE ADMINISTRATIVE SYSTEMS OF THE TWO STATES OF MAMLUKS (BAHRI AND BURJI

(648-923 A.H / 1250-1517 A.D)

Dr.Mohammed AbduL- Kareem A.ALnaime
Dr.Mustafa H.Abdul Aziz AL- Hannon

Abstract

The history of ancient Egypt, is full of many states that succeeded each other in ruling Egypt, and among these states by which the ancient, middle and modern Egyptian history are proud of. The Mamluks have a special status(both two parts the Bahri and Burji) that makes their Sultan era an age worthy of further study, research and scrutiny. Moreover, the external and internal events associated with this era reflect not only the importance of the history of Egypt and Levant, but also the history of the Islamic state in the Middle Ages in general.

Since the administrative aspect is an important part of the five aspects on which the civilization of any nation or state is based, and even the basis of any state administrative systems, so it must receive special attention particularly from the sultans and kings.